نحو نظام جامعي مغاربي مندمج

الأستاذ محمد الأمين ولد الكتاب

رئيس الجامعة

من المعلوم لدى الجميع أن التعليم الجامعي في كل من أقطار المغرب العربي على حدة هو مستمد في أساسه من النظام الموروث عن الاستعمار، أجريت عليه تحويرات وتعديلات تختلف عمقا وشمولا من قطر مغاربي إلى آخر، علما أن الرغبة ظلت قائمة في تطويره وتقريبه أكثر من واقع المجتمعات المغاربية، بيد أنه رغم وجود هذه الرغبة لدى الجميع ورغم وحدة الأهداف والتطلعات فإن التنسيق على صعيد التعليم العالي ظل دون المستوى المطلوب مما أدى إلى تبعثر في الجهود وإهدار للإمكانيات المتوفرة مردهما إلى تشتت الوسائل وتقوقع وتفكك الأواصر.

أما الآن وقد صارت الوحدة المغاربية واقعا ملموسا فإنه حان الأوان لإعادة النظر في النظام التعليمي المغاربي عموما والتعليم الجامعي بوجه أخص بحيث يتماشى والأهداف الاستراتجية التي يرمي الاتحاد إلى بلوغها.

ولكي يتم تحديد دقيق لتعليم جامعي وظيفي فعال ومطابق للمرامي الأساسية للأتحاد، موافق للمطامح العميقة للشعوب المغاربية فإنه يجدر تعيين هذه الأهداف وتبيان الطرق والوسائل الكفيلة بتحقيقها.

اعتقد أن الأهداف الأساسية التي يرمي الاتحاد المغاربي إلى تجسيدها يمكن تلخيصها فيما يلي :

- التكامل الاقتصادي.
- الانعتاق الفكري.
- الاندماج الاجتماعي.
- التحول الحضاري في إطار حيز متميز المعالم تضمحل فيه الحواجز الإدارية بشكل تدريجي وتتبلور فيه مجموعة بشرية تزداد تجانسا وتآلفا بمرور الزمن.

أما الطرق والوسائل الكفيلة بالإيصال إلى تجسيد هذه الأهداف فإنها أساسا :

١- محو الأمية والقضاء على الأوبئة والأمراض المزمنة.. ويقتضي ذلك تطوير برامج متكاملة لمحاربة الأمية الأبجدية والوظيفية والحضارية لدى كافة الفئات الاجتماعية، وبرامج أخرى لبث التوعية الصحية وتعميق التربية المدنية وكذا الرسكلة والتعليم المستمر.

٢- تحقيق الاكتفاء الذاتي على الصعيد الغذائي، الشيء الذي يقتضي جعل التعليم ما قبل الجامعي والتعليم الجامعي يتمحوران أساسا حول :

- الهندسة الزراعية.
- تقنيات الري.
- محاربة الآفات الزراعية
- الهندسة الجينية وتنمية المواشي
- البايو تكنولوجيا والكيمياء العضوية
- تقنيات صيد وتصنيع الأسماك وكافة الموارد البحرية.

٣- السيطرة على البيئة والاستغلال الكامل للموارد الطبيعية.

مما يتطلب تطوير تعليم :

- علم الصحاري والمناخ
- علم الغابات والتشجير.
- هندسة المياه الجارية والجوفية.
- هندسة الطاقة والطاقة المتجددة.

٤- تطوير العلوم الدقيقة والأخذ بأسباب التصنيع.. وذلك يقتضي بلورة علم الألكترونيات والإعلاميات وكذا الإعلام والتقنيات المتطورة للاتصال الجماعي.

٥- تطوير الثقافة الوطنية والتراث القومي ودعم الأصالة والتعريب. وخير وسيلة لذلك هي بلورة الدراسات المغاربية في مجال التاريخ والاجتماع والآداب والفنون والعلوم الدينية، على أن يواكب كل هذا مجهود دائب لتطوير اللغة العربية وعصرنتهاوتطويعها لمقتضيات العلوم الدقيقة والآلات الحديثة.

ولكي يصار إلى مطابقة التعليم الجامعي المغاربي مع مقتضيات المرحلة الحالية فإنه يجدر -في رأيي- أن يعاد النظر في التنظيم الحالي لهذا التعليم وكذا في هياكله وبناه، وفي طبيعة العلاقاتالقائمة بين الهياكل والبنى القائمة في الوقت الراهن، وصولا إلى عقلنة استغلال الموارد الموجودة وترشيد استعمال الإمكانيات المتوفرة وتوحيد الجهود والطاقات من أجل توظيف التعليم الجامعي بفعالية انجع. ومن ثم فإنه يتوجب :

١) تكثيف التعاون والتنسيق بين الجامعات المغاربية، أكثر من أي وقت مضى، ويتجسد ذلك في :

أ - تشجيع وتدعيم حرية حركة المعلومات والمعارف العلمية وتبادل

التجارب.

ب – حرية تنقل الطلاب والباحثين بين الجامعات والمعاهد العليا المغاربية.

ج – وضع شبكة مغاربية لتبادل المعلومات العلمية وإقامة مصارف معطيات متصلة ببعضها البعض.

د – تكثيف تبادل الوثائق بالطرق التقليدية وعبر البرق والأقمار الاصطناعية العربية وغيرها.

ه – توحيد المناهج التعليمية.

و – انشاء مطابع جامعية ذات بعد مغاربي

ز – توحيد طرائق التقويم الاكاديمي

ح – توحيد الدرجات والألقاب الجامعية.

ط – إعادة التوزيع الجغرافي، ثم الاستعمال الجامعي المتخصص لبنى وتسهيلات التعليم الجامعي على المستوى المغاربي.

فبالإضافة إلى الجامعات والمعاهد العليا القائمة بكل قطر مغاربي يجب العمل على تشييد مراكز امتياز متخصصة ذات طابع مغاربي يعهد إليها بتكوين الطلبة المغاربيين في مجال من مجالات المعرفة، وتكون هذه المراكز ممولة ومسيرة بشكل جماعي على أن يكون البلد المضيف لكل مركز متوفرا على إمكانيات تؤهله أكثر من غيره لاحتضان ذلك المركز.

فبالإمكان على سبيل المثال لا الحصر إنشاء:

– مركز امتياز للدراسات المتصلة بالمحروقات والطاقة بالقطر الجزائري.

– مركز امتياز لتدريس البايو تكنولوجيا والهندسة الجينية بالقطر المغربي.

– مركز امتياز لتدريس علوم البحار واقتصاديات الأسماك بالقطر الموريتاني.

– مركز امتياز لتدريس علوم الصحارى والطاقات المتجددة بالقطر الليبي

– مركز امتياز لتدريس الصناعات الغذائية بالقطر التونسي.

كما يمكن إنشاء مؤسسات مغاربية مختصة ل :

– المعلوماتية والتقنيات العصرية للاتصال

– الصناعات اللغوية والثقافية

– اللسانيات والترجمة – تعريب وتوحيد المصطلحات العلمية

وتطويع اللغة العربية لمقتضيات العلوم الدقيقة
- الدراسات التراثية المغاربية
- تدريس بيداغوجية التعليم الجامعي.
- نشر بحوث التعليم العالي المنجز على المستوى المغاربي وتوزيعها مغاربيا وعربيا.

ولعل هذا التوزيع الجغرافي لهياكل التعليم الجامعي المغاربي كفيل بأن يضمن عقلنة استعمال الإمكانيات ويؤدي إلى فعالية أكبر من شأنها أن تعزز تكامل الجهود نحو النهضة العلمية والانبعاث الفكري وبالتالي يعبد الطريق نحو الاندماج الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ذلكم الاندماج الذي قام الاتحاد المغاربي أصلا من أجل ترجمته إلى واقع حي ملموس.